الإختيارات والترجيحات في تفسيري الطبري (ت: ٣١٠هـ) والطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣ هـ) من الآية (١) إلى الآية (١٩) من سورة يوسف - دراسة مقارنة -

الباحث

علي قاسم أحمد جاسم

بإشراف

أ. م. د. رائد عبد دراج

الجامعة العراقية/ كلية العلوم الإسلامية/ قسم التفسير

«Choices and Preferences in the Interpretations of al - Tabari (d. 310 AH) and al - Tahir ibn Ashur (d. 1393 AH) from verse (1) to verse (19) of Surat Yusuf" A Comparative Study

Researcher: Ali Qasim Ahmad Jasim

Supervised by: Assistant Professor Dr. Raed Abdul Darraj

University of Iraq / College of Islamic Sciences

Department of Interpretation

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 42
ISSN: 2225-9732
March 2026

الملخص

لما كانت سورة يوسف مضمار واسع لإظهار صنوف الترجيح والاختيار في التفسير، وكانت مناجم حافلةً بالدرر التأويلية والمباحث الفكرية، آثرتُ أن يكون ميدان الدراسة في الاختيارات والترجيحات لهذين الإمامين فيهما، دراسةً تحيط بتحقيق الألفاظ، وتُعنى بفهم المناهج، وتكشف عن أسرار التباين والتوافق بأناة الباحث، ومنهج المقارن، وقلب المتعبد لكتاب ربه. وقد التزمتُ في هذا البحث أن أجمع بين إخلاص المقصد لله، وتحري الإنصاف في المقارنة، واستجلاء دقائق العلم، ورعاية الأدب مع الأئمة، مؤمنًا بأن التفسير باب من أبواب القربى قبل أن يكون ميدانًا للدرس والبيان.

Summary:

Since Surah Yusuf provides a broad field for demonstrating various types of preferences and selections in interpretation, and is a mine of interpretive pearls and intellectual discussions, I chose to focus my study on the choices and preferences of these two imams. This study encompasses the verification of the terminology, focuses on understanding the approaches, and uncovers the secrets of disparity and convergence with the patience of the researcher, the method of the comparator, and the heart of the worshipper of the Book of his Lord. In this research, I have committed myself to combining sincerity of purpose to God, seeking fairness in comparison, clarifying the subtleties of knowledge, and observing good manners with the imams, believing that interpretation is a gateway to closeness before it is a field for study and explanation.

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 42
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 42
ISSN: 2225-9732

March 2026

المقدمة

بسم الله العلي الأعلى، الذي أنزل القرآن شفاءً ورحمةً للعالمين، وهدايةً للمتدبرين، ورحمةً للموحدين.

والصلاة والسلام على المبعوث بالحق هاديًا ونذيرًا، وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فإن الله تعالى قد اختص هذا الكتاب العزيز بخصيصة البيان والإعجاز، ورفع شأن من اشتغل بتدبره وفهمه، فجعل علم التفسير أشرف العلوم منزلة، وأعظمها أثرًا، وأكرمها ثمرةً؛ إذ به ينكشف للقلوب سر الخطاب الإلهي، وتتجلى للعقول أنوار الفهم الرباني، ويُسفر للأنظار مجالي الهداية والرشد.

وفي طليعة أولئك المصطفين الأخيار، تألق الإمام محمد بن جرير الطبري، ذلك الجهبذ الذي أقام علم التفسير على أسس الرواية المحكمة، والدراية المتقنة، فكان تفسيره أم الكتاب في هذا الفن، وأُسّه الذي عليه المعوَّل والمعتمد، ينضح علمًا، ويفيض حكمةً، ويسطع تحقيقًا وتمحيصًا.

ثم لحقه في موكب الفضل والتميّز الإمام الطاهر بن عاشور، صاحب التفسير الموسوعي الرصين، الذي بث فيه روح العصر، وزيّنه بأنفاس البلاغة، وأشربه دقة التحليل، وأشعل فيه مصابيح التدبر الحر، فكان تفسيره لسانَ المدرسة المقارنة بحق.

سائلاً الله الكريم أن يجعله عملاً مقبولاً، وسعيًا مشكورًا، وذخرًا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

المطلب الأول حياة الإمام الطبري

أولاً: اسمه و نسبه و لقبه و كنيته و ولادته و نشأته و طلبه للعلم: هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، وقيل: يزيد بن خالد، بن غالب، يُكنى أبو جعفر الطبري، الْبَغْدادِي. كان أسمر إلى الأدمة، أعين، نحيف الجسم، مديد القامة، فصيح اللسان.

وِلِدَ سَنَةِ أربعٍ وعشرينَ ومائتين[١]، وقيل: أول سنة خمس وعشرين ومائتين[٢]، في آمل بطَبَرستان[٣]، ثم استوطن بغداد، وأقام فيها إلى حين وفاته[٤].

كان الإمام الطبري شغوفاً للترحال من بلد إلى بلد، متعطشاً للعلم، محصلاً إياه من شيوخه، ومدوناً له في كتبه، ما إن ترعرع وسمح له أبوه بالسفر[٥].

ثانياً: حياته العلمية: مذهبه، شيوخه، تلامذته، تصانيفه، ثناء العلماء عليه، وفاته: كان شافعياً أول أمره ثم أصبح مجتهداً وأصبح له مقلدون يعرفون ب « الجريرية « وذكره العبادي في «الشافعية»، وقال: هو من أفراد علمائنا، وما رأيناه من ذكره في هذا القسم متعين، فإن له مذهبا ينفرد به، معروفا به [٦]، حدث الطبري عن جمع كثيرٍ من أهل العراق، والشام، ومصر، وغيرها من البلاد الأخرى، وعُرف من شيوخه في كتب التراجم: محمد بن عبد الملك بن أبي الشّوارب، وإسماعيل بن موسى السّدّي، وإسحاق بن أبي إسرائيل، ومحمد بن أبي معشر، وغيرهم[٧]، كان الإمام أبو جعفر الطبري علامةً، فقيهاً، يتنافس طلاب العلم للأخذ عنه، والتتلمذ على يديه. وعُرف منهم في كتب التراجم: أبو جعفر الأنماطي يعرف بابن مالج[٨]، وعبد الله بن الحسن

(١) البداية والنهاية، لأبن كثير: ٨٤٦/١٤، تذكرة الحفاظ، للذهبي: ٢٠١/٢، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبن العماد الحنبلي: ٢٩/١، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، لعبد الله بن أسعد اليافعي: ١٩٥/٢، إنباه الرواة على أنباء النحاة، جمال الدين القفطي: ٨٩/٣.

(٢) لسان الميزان، لأبن حجر العسقلاني: ١٠٢/٥.

(٣) طبرستان: مدينة في إعمال خراسان، مملكة عظيمة، وهي بلاد كثيرة الحصون، منيعة بالأدوية، وأهلها أشراف العجم، وأبناء ملوكهم، يُنظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي: ١٣/٤.

(٤) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: ٥٤٨/٢، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ٢١٥/١٣.

(٥) تذكرة الحفاظ: ٢٠٣/٢، طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي: ١٢٠/٣.

(٦) طبقات الفقهاء الشافعية، لأبن الصلاح: ١٠٧/١.

(٧) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٣٠/١.

(٨) هو: محمد بن معاوية بن يزيد، يكنى أبو جعفر، الأنماطي، توفي سنة ٢٥١هـ، تاريخ بغداد: ٤٤٤/٤.

الحَراني[١]، و محمد بن أحمد بن عمر الداجوني[٢]، و القاضي أبو محمد ابن زَبر[٣]، و أحمد بن الفضل بن العباس البهراني[٤].

المطلب الثاني حياة الإمام ابن عاشور

أولاً: التعريف بالإمام: اسمه ونسبه ولقبه ووكنيته وولادته ونشأته وطلبه للعلم: هو الإمام العلم العلامة الهمام محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، من الأشراف

الأندلسيين، وكنيته: أبو محمد وهو أكبر أبنائه. فمحمد بن عاشور الجد، ولد بالمغرب الأقصى بعد خروج والده من الأندلس، فاراً بدينه من القهر والظلم والتنصير، وقد وصل إلى تونس سنة ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م[٢]، ولد الشيخ ابن عاشور – رحمه الله – بتونس سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م[٧]، منذ ولادته – رحمه الله – كفله جده للأم الشيخ العزيز بوعتور[٨]، وبدأ يتعلم القراءة وحَفِظَ القرآن في السادسة من عمره في الكتاب، وشب على تعلم القرآن حتى أتقنه حفظاً، ونشأ في وسط علمي، وتعلم من الفرنسية ما تيسر له، والتحق بجامع الزيتونة[٩]، عام: ١٣١٠هـ/١٨٩٢م. وقد ظهرت عليه علامات الذكاء وزادت هذه العلامات والمواهب إبان التحاقه بالزيتونة، وبقي مثابرًا

(١) هو: عبد الله بن الحسن بن أحمد، يكنى أبو شعيب، الحراني، توفي سنة ٢٩٥هـ، تاريخ الإسلام: ٩٦٣/٦.

(٢) هو: محمد بن أحمد بن عمر، الرملي، الضرير، يكنى أبو بكر، الداجوني الكبير، توفي سنة ٣٢٤هـ. تاريخ الإسلام: ٤٩٩/٧.

(٣) هو: عبد الله بن أحمد بن زبر، الربعي، يكنى أبو محمد، توفي سنة ٣٢٩هـ. تاريخ الإسلام: ٥٧٥/٧.

(٤) هو: أحمد بن الفضل بن العباس، يُكنى أبو بكر، البهراني، الدينوري، توفي سنة ٣٤٩هـ. تاريخ دمشق: ١٦٤/٥.

(٢) ينظر: سيرة الإمام محمد الطاهر بن عاشور، د. جمال محمود أحمد: ص٢، ومسامرات الظريف بحسن التعريف، لمحمد عثمان السنوسي: ص١٥٣، وشيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، د. بلقاسم القالي: ص٣٥، وشجرة النور الزكية، محمد بن محمد مخلوف: ص٣٩٢.

(٧) ينظر: أعلام تونسيون، للصادق الزمرلي: ص ٣٦١.

(٨) هو محمد العزيز بن محمد بوعتور، ولد سنة: ١٨٢٥م، وتوفي في ١٤/شباط/١٩٠٧م، وهو أول وزير أكبر لتونس في عهد الحماية، ينظر: شجرة النور الزكية، محمد مخلوف: ص ٤١٩، وعنوان الأريب عمن نشأ بالبلاد التونسية، محمد النفير: ١٠٠٧/٢ - ١٠١٩، وتراجم الأعلام، محمد الفاضل بن عاشور: ص١٣٩ - ١٥١.

(٩) جامع الزيتونة: أمر ببنائه حسان بن النعمان عام: ٧٩هـ، وقام عبيد الله بن الحبحاب بإتمام عمارته في عام: ١١٦هـ، وسمي جامع الزيتونة: قال ابن الشباط: وجدوا زيتونة منفردة في موضع المسجد فقالوا هذه تونس وسمي المسجد بجامع الزيتونة. ينظر: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، لابن أبي دينار: ص٨، ومسامرات الظريف في حسن التعريف، لمحمد السنوسي: ص١٣٥_١٤٧.

في الدراسة، حتى نال شهادة التطويع[١] سنة ١٣١٧ هـ/ ١٨٩٩م[٢].

ثانياً: حياته العلمية: مذهبه و شيوخه وتلامذته و تصنيفاته و ثناء العلماء عليه وفاته: كان المذهب المالكي قد أرسى قواعده بقوة في بلاد المغرب منذ القرون الأولى للهجرة؛ لذا فقد درس الإمام الطاهر بن عاشور أصول الفقه المالكي وتبحر فيه حتى أصبح إمام المذهب في زمانه؛ لذا فقد سُمي حاكمًا بالمجلس المختلط سنة ١٩٠٩م، ثم قاضيًا مالكيًا سنة ١٩١١م، ثم عُين إلى رتبة الإفتاء سنة ١٩٣٢م وشيخ الإسلام المالكي، كما أصبح أول إمام لجامعة الزيتونة وظل يشغل المنصب حتى استقلال تونس عام ١٩٥٦م [٣]، ولقد دَرَسَ على نخبة من العلماء الزيتونيين، حيث اكتسب الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ثقافة واسعة شملت التفسير والحديث والقراءات، ومصطلح الحديث، والبيان، واللغة، والتاريخ، والمنطق، فقد تخرج على أيدي ثلّة من علماء عصره امتازوا بثقافة موسوعية في علوم الدين وقواعد اللغة العربية وبلاغتها وبيانها وبديعها، إلى جانب قدرة على التبليغ، ومعرفة بطرق التدريس، وتركيز على تربية الملكات في العلوم، ومن أشهر شيوخه:

الشيخ سالم بو حاجب[٤]، الذي درس عليه في المرحلة العالية كتب الحديث والسنّة مثل القسطلاني على البخاري، والزرقاني على الموطأ، وقد أجازه هذه الإجازة التامة المطلقة، كتبها له في دفتر دروسه في الخامس والعشرين من رمضان عام ١٣٢٣ هـ[٥]، وكذلك دَرَسَ علي يدي الشيخ مصطفى رضوان السوسي[٦].

---

(١) تعطى هذه الشهادة بعد امتحان التطويع وكان امتحان التطويع من سنة (١٢٩٢إلى ١٣١٦) عبارة عن إلقاء درس واحد في كتاب يختاره التلميذ من الكتب التي له فيها دروس، والمشايخ والنظار يعينون له موضعاً منه، ويعطونه ثمانية أيام لمطالعته وإلقائه، وإذا أحسن إلقاءه رُخِّص له الإقراء في الجامع الأعظم. ينظر: جامع الزيتونة المعلم ورجاله، محمد العزيز ابن عاشور: ص ١١٥.

(٢) التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، للأستاذ الدكتور فضل حسن عبَّاس: ٢٩٥/٣.

(٣) ينظر: موقع بوابة الإهرام على الرابط: https: //gate. ahram. org. eg/News/٤٩٣٨٥٤٣. aspx

(٤) هو: الشيخ سالم بن عمر بن سالم بو حاجب، كان قاضياً وإماماً ومصلحاً تونسياً، توفي عام: ١٩٢٤م، ينظر: موقع ويكيبيديا على الرابط:

https: //ar. wikipedia. org/wiki/%D8%B3%D8%A7%D9%84%D9%85_%D8%A8%D9%88%D8%AD%D8%A7%D8%AC%D8%A8.

(٥) ينظر: شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأعظم، محمد الحبيب بن الخوجة: ص١٠ - ١٢.

(٦) هو الشيخ مصطفى رضوان السوسي، ولد بمدينة سوسة، سنة (١٢٤٤ هـ)، من أسرة منحدرة من الجنود الأتراك،

والشيخ أحمد جمال الدين الفقيه[١]، والشيخ محمد العزيز بو عتور[٢]، الشيخ محمد بن عثمان النجار[٣].

وفاته:

توفي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور عن أربع وتسعين سنة في ضاحية المرسى قرب تونس العاصمة، يوم الأحد (١٣) رجب (١٣٩٤ هـ- ١٩٧٣ م)، ووري الثرى رحمه الله بمقبرة الزلاج من مدينة تونس [٤]، وبموته ودعت تونس أبرز شخصية علمية عرفتها في القرن الرابع عشر الهجري.

المطلب الثالث الاختيارات والترجيحات في تفسيري الطبري (ت: ٣١٠هـ) والطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣ هـ) من الآية (١) إلى الآية (١٩) من سورة يوسف.

المسألة الأولى: قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [٥].

في الآية الكريمة مسألة واحدة، وهي: رؤيا يوسف عليه السلام الكواكب الأحد العشر مع الشمس والقمر سجودا له. فهل المراد بالكواكب والشمس والقمر هاهنا كواكب السماء التي أولت في آخر السورة بإخوته وأبويه؟ أم المراد أنه رأى إخوته وأبويه، فعبّر عنهم بذلك؟

ترجيح الإمام الطبري -: ذكر الإمام الطبري في المسألة قولان، وهما: الأول: أن يوسف - رأى في منامه أحد عشر كوكبا من كواكب السماء ساجدة له مع الشمس والقمر؛ قال الطبري -:

عُيِّن عضوا في مجلس تنظيم الدروس بجامع الزيتونة، توفي سنة (١٣٢٢ هـ)، ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ: ٣٦٥/٢.

(١) هو الشيخ أحمد جمال الدين الفقيه، ولد ببني خيار، وتلقى العلم بجامع الزيتونة، ودرّس به، كان من أبرز تلامذته الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، توفي بعد سنة (١٣٢٣ هـ)، ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ: ٥٠/٢.

(٢) هو الشيخ محمد العزيز بن محمد الحبيب ابن الوزير محمد بو عتور، ولد سنة (١٢٤٠ هفي تونس، وكان من أهل العلم البارزين، له آراؤه المستقلة، مات سنة (١٣٢٥ هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد مخلوف: ص ٤١٩.

(٣) هو الشيخ محمد بن عثمان النجار، أبو عبد الله، ولد سنة (١٢٥٥ هبتونس، وتولى منصب الإفتاء سنة (١٣١٢ هـ)، وكان يجمع بين الفتوى والتدريس بجامع الزيتونة، حتى توفي سنة (١٣٣١ هـ)، ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ: ١٦/٥، وشجرة النور الزكية، محمد مخلوف: ص ٤٢١.

(٤) ينظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور، بلقاسم الغالي: ص ٦٨.

(٥) سورة يوسف: الآية (٤).

«القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾ يقول تعالى ذكره لنبيّه محمّدٍ ﷺ : وإن كنت يا محمّد لمن الغافلين عن نبإ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، إذ قال لأبيه يعقوب بن إسحاق: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾؛ يقول: إنّي رأيت في منامي أحد عشر كوكبًا. . . ثم قال: وذكر أنّ الأحد العشر، الكواكب الّتي رآها في منامه ساجدةً مع الشّمس والقمر، فعن جابرٍ[1]، قال: أتى النّبيّ ﷺ رجل من يهود يقال له بستانة اليهوديّ، فقال له: يا محمّد أخبرني عن الكواكب الّتي رآها يوسف ساجدةً له، ما أسماؤها؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ ، فلم يجبه بشيءٍ، ونزل عليه جبرئيل وأخبره بأسمائها. قال: فبعث رسول الله ﷺ ، فقال: ((هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها؟)) قال: نعم، فقال: ((جربان والطّارق، والذّيّال، وذو الكتفين، وقابس، ووثّاب وعمودان، والفليق، والمصبح، والضّروح، وذو الفرغ، والضّياء، والنّور))، فقال اليهوديّ: والله إنّها لأسماؤها»[2]. . . ثم قال: وقوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾ [3] يقول: والشّمس والقمر رأيتهم في منامي سجودًا»[4].

(١) هو جابر بن عبد الله بن عمر بن حرام. أنصاري، سلمي. ولد سنة (١٦ قبل ه) صحابي؛ شهد بيعة العقبة، وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم ١٩ غزوة. أحد المكثرين من الرواية عن النبي ﷺ ، وكانت له في أواخر أيامه حلقة بالمسجد النبوي ويؤخذ عنه فيها العلم. كف بصره قبل موته بالمدينة، رضي الله عنه، (ت ٧٨ ه) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: ١/ ٥٤٦، والأعلام للزركلي: ٢/ ١٠٤.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره «تفسير القرآن العظيم»: ٢١٠١/٧. وابن حبان في " المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين»، رقم (٢٣٧) ٢٥٠/١، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين»، رقم (٨١٩٦) ٤٣٨/٤. قال ابن كثير: «ورواه البيهقيّ في «الدّلائل»، من حديث سعيد بن منصورٍ، عن الحكم بن ظهير. وقد روى هذا الحديث الحافظان أبو يعلى الموصليّ وأبو بكرٍ البزّار في مسنديهما، وابن أبي حاتمٍ في تفسيره أمّا أبو يعلى فرواه عن أربعةٍ من شيوخه عن الحكم بن ظهيرٍ، به وزاد: قال رسول الله ﷺ: "لمّا رآها يوسف قصّها على أبيه يعقوب، فقال له أبوه: هذا أمر متشتّت يجمعه الله من بعد؛ قال: والشّمس أبوه، والقمر أمّه، تفرّد به الحكم بن ظهيرٍ الفزاريّ وقد ضعّفه الأئمّة، وتركه الأكثرون، وقال الجوزجاني: "ساقط، وهو صاحب حديث حسن يوسف. " تفسير القرآن العظيم: ٣٧٠/٤.

(٣) سورة يوسف: الآية (٤).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري: ٩/١٣ - ١١.

الثاني: وقد ذكره بصيغة التمريض[1] (قيل) - التي تشير إلى رجحان القول الأول عنده على الثاني -، فقال: «وقد قيل: إنّ الكواكب الأحد عشر كانت إخوته، والشّمس والقمر أبويه»[2] ثم ذكر من قال ذلك من السلف الصالح: كقتادة والسّدّيّ وابن جريجٍ وسفيان والضحاك وابن زيدٍ[3]، ثم قال: «وروي عن ابن عبّاسٍ أنّه قال: الكواكب إخوته، والشّمس والقمر: أبوه وخالته، من وجهٍ غير محمودٍ، فكرهت ذكره»[4].

ترجيح الإمام الطاهر بن عاشور رحمه الله: لم ينف ابن عاشور كون الكواكب الأحد العشر والشمس والقمر التي رآها يوسف عليه السلام هي من كواكب السماء، وكذا لم يصرح بما صرّح به جماعة من السلف من كون الكواكب: إخوته، والشمس والقمر أبويه، فعبّر عنهم بذلك، بل صاغ ابن عاشور عبارةً جامعةً أثبت فيها أن يوسف عليه السلام رأى أحد عشر كوكباً من كواكب السماء مع الشمس والقمر ساجدةً له، ثم صرّح أن يوسف عليه السلام علم أن الكواكب كناية عن موجودات شريفة متماثلة، وأنّ الشمس والقمر كناية عن أصلين لتلك الموجودات، وأن سجودها له كناية عن عظمة شأنه ورفعة مقامه، قال: «وإنّما أخبر يوسف عليه السلام أباه بهاته الرّؤيا لأنّه علم بإلهامٍ أو بتعليمٍ سابقٍ من أبيه أنّ للرّؤيا تعبيرًا، وعلم أنّ الكواكب والشّمس والقمر كناية عن موجوداتٍ شريفةٍ، وأنّ سجود المخلوقات الشّريفة له كناية عن عظمة شأنه، ولعلّه علم أنّ الكواكب كناية عن موجوداتٍ متماثلةٍ، وأنّ الشّمس والقمر كناية عن أصلين لتلك الموجودات فاستشعر على الإجمال دلالة رؤياه على رفعة شأنه فأخبر بها أباه»[5].

الدراسة والترجيح:

أولاً: المقارنة بين الترجيحين:

١. اتفقا على أن الكواكب والشمس والقمر التي رآها يوسف عليه السلام في منامه إنما كانت من كواكب السماء المعروفة، وليس أنه رأى إخوته وأبويه، فعبّر عنهم بذلك.

(١) لفظ يستخدمه المحدث لرواية حديث يعلم ضعفه، أو يشك في صحته. نحو: يُروى، ويُذكر: ينظر: فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، شمس الدين أبو الخير محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ): ١/٧٥ - ٧٦.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري: ١٣/٩ - ١١.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري: ١٣/١٢ - ١٣.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري: ١٣/١٣.

(٥) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور: ١٢/٢٠٨ - ٢٠٩.

٢. لم يتوسع الإمام الطبري في مدلول الرؤيا عند يوسف عليه السلام بينما توسع ابن عاشور في ذلك فأثبت أن يوسف عليه السلام استشعر على الإجمال من خلال رؤيا الكواكب والشمس والقمر ساجدةً له دلالة رؤياه على رفعة شأنه فأخبر بها أباه.

صيغة الترجيح: ذكر الإمام الطبري القول الراجح بصيغة الجزم، فقال: «القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾ (١) يقول تعالى ذكره لنبيّه محمّدٍ ﷺ: وإن كنت يا محمّد لمن الغافلين عن نبإ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، إذ قال لأبيه يعقوب بن إسحاق: يا أبت إنّي رأيت أحد عشر كوكبًا؛ يقول: إنّي رأيت في منامي أحد عشر كوكبًا. . وقوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾ (٢). يقول: والشّمس والقمر رأيتهم في منامي سجودًا». ثم ذكر القول الثاني بصيغة التمريض (قيل)، وهذه إحدى طرق اختياراته وترجيحاته بالاستقراء. وأما الإمام ابن عاشور فقد علم ترجيحه باكتفائه بقولٍ واحدٍ وهو: أنّ الكواكب والشّمس والقمر قد رآها سيدنا يوسف عليه السلام وكانت في علمه كناية عن موجوداتٍ شريفةٍ، وأنّ سجود المخلوقات الشّريفة له كناية عن عظمة شأنه ورفعة مقامه.

أسلوب الترجيح: ابتدأ الإمام الطبري - كعادته - بذكر تأويل الآية كما هو راجح عنده ثم أخذ يدلل على رجحان ما اختاره بذكر حديث بستانة اليهودي وإخبار النبي له بأسماء الكواكب التي رآها يوسف ساجدة له. حيث ذكر الإمام الطبري قولين في المسألة، حيث ذكر القول الثاني في الآية بصيغة التمريض، وذكر من قال به من السلف.

أما الإمام ابن عاشور فلم يذكر القول الثاني الذي يصرح بأن سيدنا يوسف عليه السلام رأى إخوته وأبويه، فعبّر عنهم بالكواكب والشمس والقمر، بل أثبت أنه رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين كما هو ظاهر الآية ثم أخذ يتوسع في مدلول الكواكب والشمس والقمر عند سيدنا يوسف عليه السلام.

وجه الترجيح: اعتمد الإمام الطبري في ترجيح القول بأن سيدنا يوسف عليه السلام رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين، على ظاهر الآية، ثم على حديث بستانة اليهودي وإخبار النبي له بأسماء الكواكب التي رآها يوسف ساجدة له. أما الإمام ابن عاشور فقد اعتمد على ظاهر

(١) سورة يوسف: الآية (٤).
(٢) سورة يوسف: الآية (٤).

الآية في ترجيح ما رجحه الطبري، دون أن يستدل على ترجيحه بأي دليل من حديث أو غيره.

ثانياً: أقوال المفسرين في رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام الكواكب الأحد العشر مع الشمس والقمر سجودا له.

للمفسرين في هذه المسألة قولان، كما قال الإمام الماوردي(١): » أحدهما: أنه رأى إخوته وأبويه ساجدين له فثنى ذكرهم، وعنى بأحد عشر كوكباً إخوته وبالشمس أباه يعقوب، وبالقمر أمه راحيل رآهم له ساجدين، فعبر عنه بما ذكره، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: أنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين له فتأول الكواكب إخوته، والشمس أباه، والقمر أمه، وهو قول الأكثرين»(٢)، وبه قال الإمام ابن كثير(٣)، والإمام الرازي(٤).

وقد ذكر ابن عطية(٥) هذين القولين، ثم ضعّف الأول، فقال: « وقيل إنما كان رأى إخوته وأبويه فعبر عنهم بالكواكب والشمس والقمر، وهذا ضعيف»(٦).

ثالثاً: الخلاصة: يتبين بعد عرض كلا القولين، أن الراجح القول الثاني وهو أن سيدنا ي وسف عليه السلام رأى أحد عشر كوكبا من الكواكب السماوية، والشمس والقمر ساجدين له فتأول الكواكب إخوته والشمس والقمر أبويه، وهذا ما يؤكد ما ذكر في نهاية السورة في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، ولد سنة (٣٦٤ هـ) من وجوه فقهاء الشافعية وإمام في الفقه والأصول والتفسير (ت٤٥٠هـ) وله تصانيف منها النكت والعيون ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٣/ ٢٨٢ - ٢٨٤.

(٢) النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي: ٦/٣.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٣١٧/٤.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي: ٤١٨/١٨ - ٤١٩.

(٥) هو المفسر عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن عطية المحاربي، الغرناطي، المالكي، (ابو محمد) ولد سنة (٤٨١هـ)، أحد القضاة بالبلاد الأندلسية، وصدور رجالها، عالم مشارك في الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة والادب، (ت: ٥٤٢ هـ) من مؤلفاته: الجامع المحرر الصحيح الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المشهور بتفسير ابن عطية ينظر: المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا = تاريخ قضاة الأندلس: النباهي ص١٠٩، معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة: ٥/ ٩٣.

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي: أبو محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي(ت: ٥٤٢هـ): ٢١٩/٣.

إِخۡوَتِيٓ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾ (١).

المسألة الثانية: قال تعالى: ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩﴾ (٢).

في الآية الكريمة مسألة واحدة، وهي: أن أخوة يوسف عليه السلام أرادوا قتله وهيئوا له مكيدة من أجل قتله؛ وذلك بسبب قربه من أبيه وظنهم أنهم من بعد قتله يكونون قوماً صالحين.

ترجيح الإمام الطبري:

قال الإمام الطبري: في قوله تعالى ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩﴾ يعنون أنّهم يتوبون من قتلهم يوسف، وذنبهم الّذي يركبونه فيه، فيكونون بتوبتهم من قتله من بعد هلاك يوسف قومًا صالحين.

وقال الإمام الطبري: وبنحو الّذي قلنا في ذلك قال أهل التّأويل ذكر من قال ذلك: (٣).

حدّثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو بن محمّدٍ، عن أسباطٍ، عن السّدّيّ، «﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩﴾ قال: تتوبون ممّا صنعتم، أو من صنيعكم».

ترجيح الإمام الطاهر بن عاشور:

«رجح الإمام الطاهر بن عاشور بأن المراد من الصلاح هو الصلاح الدنيوي وليس الصلاح الديني فقال: فالمراد كون ناشئ عن فعل المأمور به فتعيّن أن يكون المراد من الصّلاح فيه الصّلاح الدّنيويّ، أي: صلاح الأحوال في عيشهم مع أبيهم، وليس المراد الصّلاح الدّينيّ»(٤).

الدراسة والترجيح:

أولاً: المقارنة بين الترجيحين:

١. اختلفا في معنى الصلاح هل هو ديني أم دنيوي، فالإمام الطبري يرى أنهم يتوبون من قتله بعد هلاك يوسف ويكونون من بعده قوماً صالحين، أما ابن عاشور فإنه يرى أن المراد هو الصلاح الدنيوي، أي: صلاح الأحوال في عيشتهم مع أبيهم وليس المراد الصلاح الديني.

(١) سورة يوسف: الآية (١٠٠).
(٢) سورة يوسف: الآية (٩).
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري: ١٩/١٣.
(٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور: ٢٢٤/١٢.

٢. لم يتوسع الإمام الطبري في مدلول الصلاح عند إخوة يوسف عليه السلام بينما توسع ابن عاشور في ذلك ووضح المسألة وبين أن المراد من فعلهم هو صلاح الأحول في عيشهم مع أبيهم.

صيغة الترجيح: ذكر الإمام الطبري القول الراجح عنده، فقال:

«القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩﴾ [1] يقول جلّ ثناؤه: قال إخوة يوسف بعضهم لبعضٍ: اقتلوا يوسف أو اطرحوه في أرضٍ من الأرض، يعنون مكانًا من الأرض﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ يعنون: يخل لكم وجه أبيكم من شغله بيوسف، فإنّه قد شغله عنّا وصرف وجهه عنّا إليه. ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩﴾ يعنون أنّهم يتوبون من قتلهم يوسف، وذنبهم الّذي يركبونه فيه، فيكونون بتوبتهم من قتله من بعد هلاك يوسف قومًا صالحين. وبنحو الّذي قلنا في ذلك قال أهل التّأويل ذكر من قال ذلك: حدّثنا ابن وكيعٍ عن السّدّيّ[2]، «وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩» قال: تتوبون ممّا صنعتم، أو من صنيعكم»[3].

وأما الإمام ابن عاشور ذكر قولاً واحداً وهو: فتعيّن أن يكون المراد من الصّلاح فيه الصّلاح الدّنيويّ، أي: صلاح الأحوال في عيشهم مع أبيهم، وليس المراد الصّلاح الدّينيّ.

أسلوب الترجيح: ابتدأ الإمام الطبري –كعادته - بذكر تأويل الآية كما هو راجح عنده ثم أخذ يدلل على رجحان ما اختاره بقولٍ نقله عن الإمام السّدّيّ بأن المقصود هو التوبة أي: أن إخوة يوسف عليه السلام يتبون مما صنعوا.

أما الإمام ابن عاشور فقد ذكر بشكل صريح وواضح أن المراد من الصلاح هو الصلاح الدنيوي وليس المراد الصلاح الديني.

وجه الترجيح: ذكر الإمام الطبري بأن الصلاح المقصود في الآية الكريمة هو الصلاح الديني وقد ذكر أقوال عن السلف الصالح تؤيد ما ذكره. أما الإمام ابن عاشور فقد أعتمد على أن الصلاح هو صلاح دنيوي وذكر أنّ صلاح الحال صفة متمكّنة فيهم كأنّه من مقوّمات قوميّتهم.

(١) سورة يوسف: الآية (٩).

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، أبو محمد، السدي - بضم السين وتشديد الدال، نسبة إلى سدة مسجد الكوفة. كان يبيع بها المقانع - من أهل الكوفة. تابعي، حجازي الأصل، كان عارفًا بالوقائع وأيام الناس، (ت: ١٢٧ هـ) من مصنفاته: « تفسير القرآن «. ينظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني: ١/ ٢٥٧ ٢٥٨.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري: ١٩/١٣.

وقد ذكر بعض الآيات التي تؤيد كلامه.

ثانياً: أقوال المفسرين في الصلاح الذي ذكر في الآية الكريمة بحق إخوة يوسف عليه السلام.

للمفسرين في هذه المسألة قولان، كما قال الإمام الألوسي(١):

أولاً: قوماً صالحين بالتوبة والتنصل إلى الله تعالى عما جئتم به من الذنب - كما روي عن الكلبي - وإليه ذهب الجمهور، فالمراد بالصلاح الصلاح الديني بينهم وبين الله تعالى، ويحتمل أن المراد ذلك لكن بينهم وبين أبيهم بالعذر وهو وإن كان مخالفا للدين لكونه كذبا لكنه موافق له من جهة أنهم يرجون عفو أبيهم وصفحه به ليخلصوا من العقوق على ما قيل.

ثانياً: ويحتمل أن يراد الصلاح الدنيوي أي: صالحين في أمر دنياكم فإنه ينتظم لكم بعده بخلو وجه أبيكم، وإيثار الخطاب في لكم وما بعده للمبالغة في حملهم على القبول فإن اعتناء المرء بشأن نفسه واهتمامه بتحصيل منافعه أتم وأكمل(٢)، وبه قال الإمام الرازي(٣).

وقد ذكر الإمام البيضاوي هذا الأمر فقال: «قوماً صالحين تائبين إلى الله تعالى عما جنيتم أو صالحين مع أبيكم بصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه، أو صالحين في أمر دنياكم فإنه ينتظم لكم بعده بخلو وجه أبيكم»(٤)، وبه قال الإمام السمعاني(٥).

ثالثاً: الخلاصة: تبين لي من خلال عرض المسألة أن هذه المسألة تحتمل كلا القولين من خلال الاطلاع على بعض التفاسير التي تهتم بهذا الموضوع وأن المفسرين يذكرون كلا القولين بدون ترجيح بينهما.

المسألة الثالثة: قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ (٦).

(١) هو محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الآلوسي الحسيني، أبو المعالي: مؤرخ، مفسر عالم بالأدب والدين، من الدعاة إلى الإصلاح، ولد في رصافة بغداد سنة (١٢٧٣هـ)، وأخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما. وتصدر للتدريس في داره وفي بعض المساجد، (ت: ١٣٤٢ هـ) وله مصنفات كثيرة منها تفسيره للقران واسمه روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ينظر: الأعلام، للزركلي: ٧/ ١٧٢.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي: ٦/٣٨٣ - ٣٨٤.

(٣) (٣) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي: ١٨/٤٢٤.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي: ٣/١٥٦.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود: ٤/٢٥٦.

(٦) سورة يوسف: الآية (١٧).

في الآية الكريمة مسألة واحدة، وهي: أن أخوة يوسف عليه السلام عندما فعلوا فعلتهم الشنيعة بيوسف عليه السلام ذهبوا إلى أبيهم لكي يقصوا عليه ما جرى وبعد ما انتهوا من كلامهم قالوا له وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين.

اختيار الإمام الطبري:

قال الإمام الطبري: في قوله تعالى ﴿وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ «إمّا خبر عنهم أنّهم غير صادقين، فذلك تكذيب منهم أنفسهم، أو خبر منهم عن أبيهم أنّه لا يصدّقهم لو صدقوه، فقد علمت أنّهم لو صدقوا أباهم الخبر صدّقهم؟ قيل: ليس معنى ذلك بواحدٍ منهما، وإنّما معنى ذلك: وما أنت بمصدّقٍ لنا ولو كنّا من أهل الصّدق الّذين لا يتّهمون لسوء ظنّك بنا، وتهمتك لنا» (١).

اختيار الإمام الطاهر بن عاشور - ¬ -:

«وجملة «وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧» في موضع الحال فالواو واو الحال. ولو اتّصاليّة، وهي تفيد أنه مضمون ما بعدها هو أبعد الأحوال عن تحقّق مضمون ما قبلها في ذلك الحال. والتّقدير: وما أنت بمؤمنٍ لنا ولو كنّا صادقين في نفس الأمر، أي: نحن نعلم انتفاء إيمانك لنا في الحالين فلا نطمع أنّ نموّه عليك» (٢).

الدراسة والاختيار:

أولاً: المقارنة بين الاختيارين:

١. اختلفا في توجيه وما أنت بمؤمن لنا، حيث ذكر الإمام الطبري بسوء ظنك بنا وتهمتك لنا، أما ابن عاشور فقد ذكر نحن نعلم بانتفاء إيمانك لنا في الحالين فلا نطمع ان نموه عليك.

٢. في كلام الإمامين رحمهم الله نصل الى نتيجة فقدان الثقة بين الطرفين على وفق التصور الذي تولد في نفوسهم في حقيقة التفكير الذي يفكر به يعقوب عليه السلام.

صيغة الاختيار: ذكر الإمام الطبري الاختيار عنده على إحتمالين، فقال: «وقوله﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ (٣). يقولون: وما أنت بمصدّقنا على قيلنا إنّ يوسف أكله الذّئب ﴿وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾»(٤). كما: حدّثنا ابن وكيعٍ، قال: ثنا عمرو بن محمّدٍ، عن أسباطٍ، عن السّدّيّ،

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري: ٣٤/١٣.
(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور: ٢٣٧/١٢.
(٣) سورة يوسف: من الآية (١٧).
(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري: ٣٤/١٣.

«﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ قال: بمصدّقٍ لنا، ﴿وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ إمّا خبر عنهم أنّهم غير صادقين، فذلك تكذيب منهم أنفسهم، أو خبر منهم عن أبيهم أنّه لا يصدّقهم لو صدقوه، فقد علمت أنّهم لو صدقوا أباهم الخبر صدّقهم؟ قيل: ليس معنى ذلك بواحدٍ منهما، وإنّما معنى ذلك: وما أنت بمصدّقٍ لنا ولو كنّا من أهل الصّدق الّذين لا يتّهمون لسوء ظنّك بنا، وتهمتك لنا «(١).

وأما الإمام ابن عاشور فقد ذكر رأياً واحداً وهو: «وما أنت بمؤمنٍ لنا ولو كنّا صادقين في نفس الأمر، أي: نحن نعلم انتفاء إيمانك لنا في الحالين فلا نطمع أنّ نموّه عليك»(٢).

أسلوب الاختيار: من خلال العرض الذي ذكرناه تبين أن ما طرحه الإمامان يمكن التعويل عليه وهو أمر محتمل من خلال علاقة الأب مع ابنائه.

وجه الاختيار: اعتمد الإمام الطبري في اختيار القول بناءً على ما نقله من أقوال عن السلف الصالح.

ثانياً: أقوال المفسرين فيما قال إخوة يوسف لإبيهم حول مقتل يوسف عليه السلام.

أولاً: « ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ﴾ (٣). نتسابق في العدو أو في الرمي، وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل. ﴿وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف»(٤)، وبه قال الإمام الزمخشري(٥)، والإمام القرطبي(٦).

ثانياً: للإمام الرازي في قوله تعالى ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ مسألتان:

المسألة الأولى: ليس المعنى أنّ يعقوب عليه السلام لا يصدّق من يعلم أنّه صادق، بل المعنى لو كنّا عندك من أهل الثّقة والصّدق لاتّهمتنا في يوسف لشدّة محبّتك إيّاه ولظننت أنّا قد كذبنا والحاصل أنّا وإن كنّا صادقين لكنّك لا تصدّقنا لأنّك تتّهمنا.

(١) المصدر نفسه.
(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور: ٢٣٧/١٢.
(٣) سورة يوسف: الآية (١٧).
(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي: ١٥٨/٣.
(٥) (٤) ينظر: الكشاف، للزمخشري: ٤٥١/٢.
(٦) (٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١٤٨/٩.

وقيل: المعنى: إنّا وإن كنّا صادقين فإنّك لا تصدّقنا لأنّه؛ لم تظهر عندك أمارة تدلّ على صدقنا.

المسألة الثّانية: احتجّ أصحابنا بهذه الآية على أنّ الإيمان في أصل اللّغة عبارة عن التّصديق؛ لأنّ المراد من قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ (١) أي: بمصدّقٍ، وإذا ثبت أنّ الأمر كذلك في أصل اللّغة وجب أن يبقى في عرف الشّرع كذلك(٢).

ثالثاً: الخلاصة: يتبين بعد عرض بعض من أقوال المفسرين أن المسألة تحتمل أكثر من رأي وأن قول إخوة يوسف لأبيهم حول مقتله هي محط اختلاف بين المفسرين وأنهم لم يتفقوا على رأي واحد.

المسألة الرابعة: قال تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٩﴾ (٣).

في الآية الكريمة مسألة واحدة، وهي: قوله تعالى ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗ﴾حيث أن المفسرين قد إختلفوا في معنى الإسرار الذي ورد في الآية الكريمة من خلال عرضهم للمسألة وفق الذي يرونه راجحاً عندهم.

ترجيح الإمام الطبري: حيث أن الإمام الطبري ذكر رأيه بشكل واضح في هذه المسألة من خلال ذكره أولى أقوال عنده.

قال الإمام الطبري: «وأولى هذه الأقوال بالصّواب قول من قال: وأسرّ وارد القوم المدلّي دلوه ومن معه من أصحابه من رفقته السّيّارة أمر يوسف أنّهم اشتروه خيفةً منهم أن يستشركوهم، وقالوا لهم: هو بضاعة أبضعها معنا أهل الماء. وذلك أنّه عقيب الخبر عنه، فلأن يكون ما وليّه من الخبر خبرًا عنه، أشبه من أن يكون خبرًا عمّن هو بالخبر عنه غير متّصل»(٤).

ترجيح الإمام الطاهر بن عاشور في هذه المسألة حيث ذكر رأيه من خلال قوله: «ومعنى أسرّوه أخفوه. والضّمير للسّيّارة لا محالة، أي: أخفوا يوسف عليه السلام، أي: خبر التقاطه خشية أن يكون من ولدان بعض الأحياء القريبة من الماء قد تردّى في الجبّ، فإذا علم أهله بخبره طلبوه وانتزعوه

(١) سورة يوسف: الآية (١٧).
(٢) مفاتيح الغيب، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي: ٤٢٩/١٨.
(٣)) سورة يوسف: الآية (١٩).
(٤)) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري: ٤٩/١٣.

منهم؛ لأنّهم توسّموا منه مخائل أبناء البيوت، وكان الشّأن أن يعرفوا من كان قريبًا من ذلك الجبّ ويعلنوا كما هو الشّأن في التّعريف باللّقطة، ولذلك كان قوله: ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ مشعرا بأنّ يوسف عليه السلام أخبرهم بقصّته، فأعرضوا عن ذلك طمعًا في أن يبيعوه. وذلك من فقدان الدّين بينهم، أو لعدم العمل بالدّين»[1].

الدراسةُ والترجيحُ:

أولاً: المقارنة بين الترجيحين:

اختلف الإمامان في علة الإسرار فذكر الإمام الطبري أنه خيفةً ان يستشركوهم فقالوا لهم هو بضاعة أبضعها معنا أ هل الماء، أما الامام بن عاشور فذكر أنهم أعرضوا عن التعريف به طمعاً من أن يبيعوه.

صيغة الترجيح: ذكر الإمام الطبري القول الراجح عنده بصيغتهِ المعروفة، فقال: «وأولى هذه الأقوال بالصّواب قول من قال: وأسرّ وارد القوم المدلّي دلوه ومن معه من أصحابه من رفقته السّيّارة أمر يوسف أنّهم اشتروه خيفةً منهم أن يستشركوهم، وقالوا لهم: هو بضاعةٌ أبضعها معنا أهل الماء. وذلك أنّه عقيب الخبر عنه، فلأن يكون ما وليّه من الخبر خبرًا عنه، أشبه من أن يكون خبرًا عمّن هو بالخبر عنه غير متّصلٍ»[2].

وأما الإمام ابن عاشور فقد ذكر ترجيحه لهذهِ الآية الكريمة من خلال قولهِ: «ومعنى أسرّوه أخفوه. والضّمير للسّيّارة لا محالة، أي: أخفوا يوسف عليه السلام، أي: خبر التقاطه خشية أن يكون من ولدان بعض الأحياء القريبة من الماء قد تردّى في الجبّ»[3].

أسلوب الترجيح: ابتدأ الإمام الطبري بذكر تأويل الآية كما هو راجح عنده ثم أخذ يدلل على ذكر رجحان ما اختاره من أقوال السلف ثم ذكر أولى الأقوال عنده بالصواب.

أما الإمام ابن عاشور فقد ذكر رأيه بشكل واضح في المسألة وذلك من خلال قوله: بأن يوسف عليه السلام أخبرهم بقصته فأعرضوا عن ذلك طمعاً من أن يبيعوه. وذلك من فقدان الدين بينهم أو لعدم العمل بالدين.

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور: ٢٤٣/١٢.
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري: ٤٩/١٣.
(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور: ٢٤٣/١٢.

وجه الترجيح: اعتمد الإمام الطبري في ترجيح القول على ما نَقَلَ من أقوال للسلف الصالح. أما الإمام ابن عاشور فقد صرح بأن يوسف عليه السلام أخبرهم بقصته فأعرضوا عن ذلك طمعاً من أن يبيعوه وذلك من فقدان الدين بينهم، أو لعدم العمل بالدين.

ثانياً: أقوال المفسرين في الإسرار الوارد في الآية الكريمة.

القول الأول: «أن الوارد ومن كان معه أسروه بضاعة عن أهل الرّفقة، مخافة أن يطلبوا المشاركة فيه»(١)، وبه قال الإمام السمرقندي(٢).

القول الثاني: «وأسرّوه الضمير للوارد وأصحابه: أخفوه من الرفقة. وقيل: أخفوا أمره ووجدانهم له في الجب، وقالوا لهم: دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر. وعن ابن عباس أنّ الضمير لإخوة يوسف، وأنهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا، وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه»(٣)، وبه قال الإمام النسفي(٤).

ثالثاً: الخلاصة: تبين لي من خلال مراجعتي لهذه المسألة والاطلاع على بعض التفاسير أن مدلول الآية يحتمل أكثر من معنى فلذلك اختلفت كلمة المفسرين في معنى الآية وأن الإمام الطبري قد اعتمد في ترجيحه على بعض من أقوال السلف الصالح واضعاً نصب عينه القاعدة الترجيحية القائلة: «تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم»(٥).

(١) تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني: ١٧/٣.
(٢) ينظر: بحر العلوم، أبو الليث السمرقندي: ١٨٥/٢.
(٣) الكشاف، أبو القاسم محمود بن عمرو جار الله الزمخشري: ٤٥٢/٢.
(٤) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي: ١٠١/٢.
(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي بن حسين الحربي: ٢٤٣/١.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنوره اهتدى السالكون، وبكتابه استضاء العالمون، وبمناهج أنبيائه وأعلام أمته ارتفعت معارج اليقين، وصلّى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد رحلة علمية وافية، في بستان التفسير ورياحين الترجيح، تأملًا وتحقيقًا، ومقارنة وتمحيصًا، وفق منهجٍ قويم، ورؤية متأنيةٍ حصيفة، وقفت الدراسة على مرافئ البيان عند الإمامين الجليلين: الطبري وابن عاشور، فنجد في سيرتهما العلمية مصابيح تهدي الفكر، وسبلًا تقود إلى الرشد، وأنموذجين يعكسان تكامل الرواية والدراية في تفسير كلام الله العزيز الحكيم.

وقد استقصى هذا الجهد المتواضع ملامح الاختيار والترجيح عند هذين العلمين، مبينًا الفروق الدقيقة بين أساليبهما ومقاصدهما، مستبصرًا بسياقات العصر، ومسترشدًا بمناهج السلف، فجاءت نتائجه ثمرة بحث دقيق، واستقراء رصين، وعرضٍ مقارن بعيدٍ عن الغلو والانتقاص.

وفي الختام، فإن هذا جهد العبد المقل، فما كان فيه من صواب فبمحض توفيق الله وفضله، وما كان فيه من خطأ أو زلل أو خلل، فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله من التقصير والخلل، وأسأله القبول والرضا، إنه ولي التوفيق ومجيب الدعاء.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
١. أعلام تونسيون، الصادق الزمرلي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
٢. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، ط١٥، أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
٣. الإمام محمد الطاهر بن عاشور (سيرة ومواقف)، د. جمال محمود أحمد أبو حسان، الناشر: المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس، العدد٢/أ)، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٤. الإمام محمد بن جرير الطبري شيخ المفسرين، رسالة ماجستير، الحسين عبد الغني أبو الحسن، إشراف: أ. د. محمد دسوقي
٥. إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين، أبو الحسن، علي بن يوسف القفطي [ت ٦٢٤ هـ كذا على غلاف مطبوعه! والصواب ٦٤٦ هـ كما في ١/ ١٦ من مقدمة المحقق؛ وفقا لمصادر ترجمته]، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٤٠١ هـ]، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢ م.
٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.
٧. البداية والنهاية، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤ هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، (١٤١٧ – ١٤٢٠ هـ).
٨. البداية والنهاية، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤ هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، (١٤١٧ – ١٤٢٠ هـ).
٩. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت

٧٩٤ هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٤٠١ هـ]، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان، وبنفس ترقيم الصفحات)، ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

١٠. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: د بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١١. تاريخ بغداد (تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها)، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (٣٩٢ – ٤٦٣ هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: د بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

١٢. تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت٥٧١ هـ)، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

١٣. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م.

١٤. تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، وضع حواشيه: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

١٥. تراجم الأعلام، محمد الفاضل ابن عاشور، الناشر: الدار التونسية، تونس.

١٦. التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، الأستاذ الدكتور فضل حسن عبَّاس، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م.

١٧. التهذيب، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط١، ١٣٢٥ – ١٣٢٧ هـ.

١٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع

والإعلان، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ)، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٢٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت ١٠٨٩ هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط [ت ١٤٣٨ هـ]، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٢١. شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره، د. بالقاسم الغالي، الناشر: دار ابن حزم.

٢٢. لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، المحقق: دائرة المعرف النظامية، الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م.

٢٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.

٢٤. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت ٧٦٨هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٥. مسامرات الظريف بحسن التعريف، محمد بن عثمان بن محمد السنوسي، أبو عبد الله (ت ١٣١٨هـ)، [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع].

٢٦. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥ م.

٢٧. المؤنس في أخبار افريقية وتونس، محمد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن ابي دينار، الناشر: مطبعة الدولة التونسية، ط١.